

كيف تواءمت أجنادات الإخوان وإيران في اليمن؟

المليشيات العقائدية سلاح طهران لتفتت الأوطان

الأمناء، تحليل/ عبد الجليل الشرنوبلي:

في منتصف نوفمبر عام 2009، كان مقر مكتب الإرشاد بحي منيل الروضة وسط القاهرة يضح بحركة غير تقليدية، اتصل بي الحاج مسعود السبحي سكرتير المرشد، بناءً على تكليف من المرشد العام السابق الراحل محمد مهدي عاكف، كنت وقتها رئيساً لتحرير موقع الإخوان الرسمي، وأحد محرري رسائل وبيانات وتصريحات المرشد ومكتب الإرشاد، كان الحدث هو تصاعد المناوشات الحوثية على الحدود اليمنية السعودية التي بدأت تنش هجمات لتقويض التهديد الحوثي.

كان المطلوب صياغة تصريح خاص على لسان المرشد. اندهشت من المطلوب العاجل الذي استدعت له رغم أن الحدث كان قائماً ولا يوجد فيه جديد، لكن المرشد الراحل أكد أن الجديد هو أن إخوان سوريا أصدرت بياناً هاجموا فيه التمرد الحوثي باعتباره منفذاً لإرادة السوء وطالبوا اليمن والسعودية بمواجهة الجماعة الباغية.

وكل هذا لأن الحوثيين هم جزء من مشروع يتحرك على الساحة العربية والإسلامية من العراق إلى الشام إلى لبنان إلى اليمن، غايتهم دق المسامير الديمغرافية في بنية المجتمعات العربية والإسلامية بغية تمييزها، وإثارة القلاقل في ربوعها، والتحكم بإنسانها وبقراها، واعتبر إخوان سوريا تحرك الحوثي يهدف إلى بناء كيان مزروع، ليؤدي دوراً استراتيجياً، في زيادة حجم الفرقة والانقسام، في قلب بلاد العرب والمسلمين.

حين راجعت بيان إخوان سوريا، لم أجد فيه غير الخطاب الذي كان يُروج لتنظيمها في كل الوحدات القاعدية للتنظيم في الداخل والخارج، لكن مكتب الإرشاد وقتها بعث تنسيقات خارجية كان القيادي يوسف ندا محورا فيها، وانتهت المناوشات إلى ضرورة أن يُصدر المرشد العام باسمه تصريحاً مقتضياً ومركزاً يحوي نداءً موجهاً إلى ملك السعودية الراحل عبدالله بن عبدالعزيز يدعو إلى وقف القتال لمنع إراقة دماء المسلمين وحقق دماء المدنيين الأبرياء.

تنظيم متعدد الأوجه

بعد كتابة التصريح ونشره على الموقع الرسمي للتنظيم وتوزيعه على الصحافيين ووكالات الأنباء، رُحّت أفئتش عن موقف إخوان اليمن وحزب الإصلاح لاكتشف أنهم قد قرروا التعاظم مع الموقف من الحوثي عموماً عبر محاولة الوقوف على الحياد تجاه الصراع الدائر بين الدولة وجماعة الحوثي.

كان الموقف التنظيمي متعدد الأوجه دافعا لأن أسعى لزيارة اليمن الذي تعدد ذكره في المحافل التنظيمية منذ عرفت الإخوان نهاية ثمانينات القرن الماضي، والذي مر على محطاته الكثير من القيادات والأفراد الإخوانية من كل البيئات والمستويات.

في ليلة "صناعية" السهر قبل تسع سنوات، كنت في جمع من جموع الإخوان اليمنيين، وكان المقر تابعاً لحزب الإصلاح - تنظيم الإخوان باليمن - والحضور من الدوائر الإعلامية والسياسية للتنظيم، وكعادة التنظيم فإن الخطاب الموجه للقواعد عادة ما ينسم بالعموميات وينتهي بمأدبة طعام وإشاداً تنظيمي.

وكانت جموع الحضور من عموم إخوان اليمن، ينسمون كما عامة أبناء وطنهم بطيبة الروح وتاجج العاطفة الدينية وهشاشة الوعي، جموع سقطت في شرك تنظيم لا يربق في إنسان إلا ولا ذمة.

بعد الإنشاد حملني برنامج الرحلة للقاء شديد الخصوصية مع الدكتور فتحي العزب الذي كان مرشح التنظيم لرئاسة اليمن



ليشمل تقويض أركان دول المنطقة. لذا لا يجب أن يُفاجئنا موقف إخوان اليمن الرافض لدعوات حوار فرقاء اليمن في جدة، والذي ترعاه المملكة العربية السعودية وبياركة المبعوث الأممي، إن هذا الرفض المترام مع الانسحاب من المواقع وتركها للحوثيين، والفتوى التنظيمية الممهورة بتوقيع "هيئة علماء اليمن" بعيدان للأذهان ما كان من تأصيل شرعي لتكفير جنوب اليمن لتعبئة القواعد جهادا ضد أهل الجنوب (المتمردين).

وهو الخطاب نفسه الذي تزامن مع معارك التنظيم ضد أهل الجنوب اليمني في تسعينات القرن الماضي. وفي الأوج الشاحنة خرج وزير الداخلية التنظيمي أحمد المسيري رافضاً أي حوار مع المجلس الانتقالي، تحست أي ظرف كان، ومتجاوزاً دور دولة الرعاية والتحالف المملكة العربية السعودية، ومطالباً بأن يكون الحوار فقط مع الإمارات إن أرادت. يبدو المشهد أكثر اتساقاً مع واقع ما رصدته في زيارتي السابقة لليمن.

تنظيم يسعى للحضور في كل مكونات الواقع اليمني، رافعا راية نصرة الإسلام والمسلمين. عندما حانت اللحظة أصبح عليه أن يؤجل وعوده إلى حين تحقيق تمكينه، وهو ما لا يمكن أن يتم عبر الحوار مع الرباعية الدولية أو غيرها، لأن قراراته دوماً محكومة بحسابات التنظيم الأممي وعداواته كما تحالفاته من الممكن أن تتغير من يوم إلى آخر بحسب حجم ما تخضع هذه العداوات من ثبات الأوطان.

هكذا بدأ حسن البناء مؤسس جماعة الإخوان في مصر علاقته بالدولة اليمنية إبان الحكم الإمبريالي في ثلاثينات القرن الماضي، قبل أن يصنع (انقلاب 1948) وبحسب توصيف المؤرخ التنظيمي محمود عبدالحليم فإن فكرة إعداد الشعب اليمني للثورة قد نبئت في المركز العام للإخوان، كان هذا يتم بينما مكاتبات (البن) للإمام اليمني تقطر حبا وتقديراً ونصحا.

يحيل تتبع الموقف التنظيمي الإخواني من اليمن إلى محطات عداوات تتسع دوائرها لتفتح كل حين جبهة على عدو جديد. كانت البداية بنظام علي عبدالله صالح الذي كان حليفاً يوماً ما، ثم شملت الحوثي الذي كان حليفاً يوماً ما. لكن هذه العداوة لم تمنع أن يفتح الدكتور فتحي العزب قنوات اتصال وتنسيق مع الحوثي تتنامت بعد الإفراج عنه من قبل الأخير منتصف عام 2015 بعد ثلاثة أشهر قضاها محتجزاً لدى مليشيات الحوثي.

كان آخر ما تسرب عن لقاءات التنسيق بين الإخوان والحوثي اجتماعاً كان ضيفه المفاوضات الحوثي محمد البخيتي على رأس فريق بمنزل عزب في العاصمة صنعاء مارس الماضي. وبالتأكيد هكذا تنسيق لا يمكن أن يتم بغير اتساق مع توجهات التنظيم الدولي الذي بات يجد في إيران أحد الملاذات الآمنة التي يمكن من خلالها استهداف الحضور في اليمن والخليج كله.

اليوم بينما يقف إنسان اليمن يفتش عن بارقة أمل تخرجه من مستنقع دماء صنعته تنظيمات الدين السياسي، تتصافر جهود تنظيماته الأممية لتلقي بشظايا فتنتها على جوار اليمن، ويكون على كل متنبه للمصير الإنساني في هذه البقعة من العالم أن يستوعب أن الانسحاب خلف حسابات التفاوض السياسي لا يمثل إلا هدراً للوقت، ومنحاً للتنظيمات المتطرفة ما تعوزه لتوسيع موجات الخلل عبر نقاط ملتبهة مراكزها موزعة بأحاء يمن تشظى وطناً، وتشتت إنساناً، يحتضن أضلال وطنه الذي كان سعيداً.

* كاتب مصري.

وحدة الخطاب جهادي لدى العناصر من جهة وأكسبه بعده الدولي حضور العناصر التنظيمية متعددة الجنسيات على الأراضي اليمنية. انقضت الليلة وما تلاها من ليال طوال دخلت فيها أوطان عربية تباعاً رافعة راية الربيع العربي، ولحق اليمن بركب الثورات، وكما كان الواقع المجتمعي في كل الدول التي طالتها فعاليات الغضب، تعرت كل مكونات الواقع المجتمعي اليمني، وتهاوت أوراق التوت الشكلية التي كانت تستر عورات الكيانات السياسية، سواء الرسمي منها أو المعارض، وأصبح اليمن الجديد في مواجهة أمني سدة معبد دين تنظيمي ذي وجهين. أحدهما سني يحمل اسماً أممياً هو (الإخوان) ومحملياً هو (الإصلاح)، والآخر شيعي ويحمل اسماً أممياً هو (إيران) وآخر محلي هو (الحوثيون).

ويشترك كلاهما في هدف واحد، يمكن اختصاره في عنوانه الصريح "تدمير منطقة الخليج"، التي يمثل المحطة قبل الأخيرة في قطار تمكين الدين التنظيمي، حيث إن للتنظيم الإخواني حضوراً متعدد الأوجه والمستويات في البيئة اليمنية، فهو بالتأكيد قادر على أن يكون الحاضر في مشهد القتال ضد الحوثيين والتفاوض معهم.

وكان ذلك حال الحضور في مشهد المطالب الثورية والنخبوية السياسية عبر حلفاء الأُمس، فيما يتهمهم بالعمالة للسعودية أو الإمارات في نفس الوقت، كما أنه يمكن أن يكون حاضراً في مشهد الحكومة الشرعية والرئيس عبدربه منصور هادي بما يؤهله للحضور في مشهد التنسيق مع دول التحالف وعلى رأسها المملكة العربية السعودية والإمارات. لكن هذا الحضور لا يمنعه من استخدامه لإجهاض التحالف أو تسريب تفاصيل مداولاته الإقليمية والأممية إلى دول التحالف التنظيمي، وعلى رأسها قطر وتركيا وإيران.

همزة وصل

في 22 نوفمبر 2015 عقدت لجنة التحليل السياسي التابعة للتنظيم الإخواني حلقة نقاشية بالعاصمة القطرية الدوحة، كان الهدف هو إعداد تقييم موقف يتم رفعه للجهاز السياسي بالتنظيم الدولي حول تطورات الموقف اليمني وموقف الإخوان المسلمين تجاه الحدث. انتهت النقاشات الخاصة بسياسات الإخوان إزاء خطر تمدد الحوثيين

2006، وانتهى اللقاء إلى التأكيد على أن إخوان اليمن يتحركون في كل مكونات النسيج اليمني غير استثناء، بداية من رأس الدولة وكافة مؤسساتها وانتهاء بكل تنظيمات ومراكز النقل داخل المجتمع اليمني بمن فيهم الحوثيون، وللإخوان سلاحهم الموجود طبيعياً في البيئة، ومع هكذا حضور يصبح من الصعب تجاوزهم حال تحقق أي سيناريو متوقع لمآلات الوضع نهاية 2010 والتي كانت المؤشرات التنظيمية تشير إلى أنها تشير نحو انهيار النظام.

في آخر محطات الليلة انتهينا إلى زيارة منزلية إلى المراقب العام للتنظيم في اليمن، كان بيتنا ذا طابع شديد الخصوصية، يحرص رب الدار على متابعة الإجراءات الأمنية للزوار بنفسه، ويتأكد من أن الهاتف النقال مغلق وفي غير مكان اللقاء.

حين خرجنا من المنزل، لم أندش كثيراً عندما عرفت أن المراقب العام للتنظيم اليمني هو العقيد محمد عبدالله اليوم، وكان حتى منتصف ثمانينات القرن الماضي ضابطاً في جهاز الاستخبارات اليمنية، وكل ما يعني الرجل أن أحمل مكتب الإرشاد طمأنة حول أوضاع إخوان اليمن على كافة المستويات، لأنهم أعدوا لكل سيناريو مستقبلي عدته ولهم مع كل الأطراف علاقات وثيقة.

عند نهاية الليلة بدأت الصورة تتشكل من هرم تنظيمي يدير جموعاً ممن اجتمع على تخديرهم خطاب إسلامي تنظيمي و(قات) يدعي التنظيم أنه لا يستطيع محاربتة، هكذا أخبرني كل من التقيتهم من قيادات الإصلاح، إنه الواقع الذي صنعه التنظيم الإخواني في اليمن على مدار عقود حتى استحال ساحة تنظيمية مفتوحة تتفاعل فيها معادلات التنظيم في مستويات متعددة.

لليمن تنظيمه القطري بأطره التي تبدأ من المراقب العام وتنتهي للشعب، كما أن للميمن تنظيمه الحاضر بقوة في مشهد "رابطة إخوان مصر بالخارج"، والذي ينسق تكاملاً مع فعاليات وأنشطة التنظيم اليمني المحلي، بينما يظل للتنظيم الدولي عبر قسم الاتصال حضوره المتميز على الأراضي اليمنية استثمارات لاقتصاد التنظيم وتنمية للقواعد الدولية عبر المؤسسات التعليمية الرسمية التي تتبع إخوان اليمن.

هذا الواقع التنظيمي الذي يتجاوز في مكوناته العناصر المحلية أهل التنظيم في اليمن ليكون المورد البشري لتنظيمات السلفية الجهادية التي تطورت لتصبح بمسميات منها (القاعدة وداعش)، هذا التوريث سهله